

## درس 98

# من غزوة الخندق إلى صلح الحديبية

## غزوة الخندق

كان بين المسلمين من الخَزْرَج وبين يهود بني النَّضِير المجاورين للمدينة عهد على التَّنَاصُر، فخان اليهود عهدهم مع المسلمين، حيث هَمُّوا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج عليه الصلاة والسلام إليهم في السنة الرابعة للهجرة حتى أجلاهم عن مواطنهم، فأورث الله تعالى المسلمين أرضهم وديارهم، ولم يَقْر لهؤلاء اليهود قراراً بعد ذلك فذهب جمْع منهم إلى مكة، وقابلوا رؤساء قريش واتفقوا معهم ومع قبيلة عَطْفان على حرب المسلمين، فتجهزت قريش ومن تبعهم من كنانة، وتجهزت عَطْفان ومن تبعهم من أهل نَجْد، وتَحَزَّبوا جميعاً على محاربة المسلمين، حتى بلغ عدَدُ جَمِيعِهِمْ عشرة آلاف محارب قائدهم العامُّ أبو سفيان.

فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بتجمعهم لذلك استشار أصحابه فيما يعمل لمقاومتهم، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خَنْدَق في شمال المدينة من الجهة التي تُؤْتَى منها المدينة، فحفروه، وجاءت قريش ومن معها من الأحزاب ونزلوا خلف الخندق، وجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلافٍ من المسلمين أمام الخندق، واستمروا على هذه الحالة يَتَرَامُونَ بالنَّبْلِ بضْعاً وعشرين ليلة، وقد رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم حراساً على الخَنْدَقِ.

لئلا يفتحمه الأعداء ليلاً، وكان يحرس بنفسه أصعب جهة فيه، ولما طالت المدة اقتحم جماعةٌ من المشركين الخندق بخيلهم، فمنهم من وقع فيه فاندَقَّ عنقه، ومنهم من برَزَ له بعض شجعان المسلمين فقتله، وقد استمرت هذه المعركة يوماً كاملاً.

## غزوة بني قريظة

ثم بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بني قُرَيْظَةَ القاطنين بجوار المدينة يريدون نقض ما بينهم وبينه من العهد، فاسترجع من جيشه خمسمائة رجل لحراسة النساء والذَّراري، ولما علم المسلمون بأمر بني قُرَيْظَةَ اشتدَّ وَجْهُمُ لأن العدو قد أصبح محيطاً بهم من الخارج والداخل، ولكن الله سبحانه وتعالى قَيَّضَ لرسوله صلى الله عليه وسلم من انبثَّتْ بين الأعداء يفرق جموعهم بالخديعة والحيلة، حتى استحکم الفشل بينهم، وخاف بعضهم بعضاً، وأرسل الله تعالى عليهم ريحاً باردة في ليل مظلم أكفأت قدورهم وطرحت أنيتهم، فارتحلوا من ليلتهم، وأزاح الله تعالى هذه العُمَّة التي تَحَزَّبَ فيها الأحزاب من قبائل العرب واليهود على المسلمين.

وكانت هذه الحادثة بين شهري شوال وذي القعدة من شهر السنة الخامسة للهجرة، واستشهد فيها من المسلمين ستة، وقتل من المشركين ثلاثة.

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخلع لباس الحرب حتى حاصر بني قُرَيْظَةَ لخيانتهم ونقضهم للعهد، واستمر محاصراً لهم خمساً وعشرين ليلة، حتى كادوا يهلكون ولم يروا بُدْأً من التسليم لما يحكم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ورضوا بأن ينزلوا على حكم سيدهم سعد بن مُعَاذ، فحكم بقتل رجالهم وسبي نساءهم وذراريهم وأخذ غنائمهم، فحُيِسَ الرجال في دور الأنصار حتى حُفِرَتْ لهم خنادق ضُرِبَتْ أعناقهم فيها، وكانوا نحو سبعمائة رجل، وبذلك أراح الله المسلمين من شر مُجاورة هؤلاء الأعداء، والله عزيزٌ ذو انتقام.

## غزوة الحديبية وصلحها

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة الخندق بقية السنة الخامسة للهجرة، وفي السنة السادسة خرج إلى بني لحيان الذين قتلوا عاصم بن ثابت ومن معه، فوجد القوم قد تفرقوا، ثم إلى ذي قرد لردِّ إغارة عبيدة بن حصن على لقاحه صلى الله عليه وسلم (واللقاح: جمع لقة، وهي الناقة الحلوب)، ففر العدو بعد مناوشة لم تطل، ثم إلى بني المصطلق لما بلغه أنهم يجمعون له الجموع، فهزمهم وغنم منهم أموالا وسبائيا.

ثم خرج صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة من تلك السنة إلى مكة يقصد العمرة، وخرج معه من المهاجرين والأنصار ألفاً وخمسمائة، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لم يخرج محارباً، وأمر أصحابه ألا يستصحبوا معهم من السلاح إلا السيوف مغمدة في قربها، حتى لا يدخلوا المسجد الحرام بسيفٍ مجردة، فسار عليه الصلاة والسلام بهذا الجمع حتى وصلوا عسفان، وهو موضع على مرحلتين من مكة، فجاءه من أخبره أن قريشاً اتفقت على صد المسلمين عن مكة، وتجهزت للحرب، وأخرجت خالد بن الوليد في مائتي فارس ليصدوا المسلمين عن التقدم، فسار المسلمون من طريق آخر تملك مكة من أسفلها، حتى وصلوا إلى مهبط الحديبية، وهي بئر بقرم مكة سمي الموضع باسمها، فبركت ناقته صلى الله عليه وسلم، فأمر أصحابه بالنزول، وهناك جاء رسولٌ من قريش يسأل عن سبب مجيء المسلمين، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بمقصده، فلما رجع إلى قريش لم يتقوا به، فأرسلوا آخر، فلما رأى الهدى وسمع التلبية رجع وقال لقريش: إن القوم جاءوا معتمرين، وما ينبغي أن يصدوا، وما ينبغي أن تحجَّ لحمَّ وجذامٍ وحميرٍ ويمنعَ عن البيت ابنُ عبد المطلب، فلم تسمع قريش لقوله، وبعثوا آخر فرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم احترامهم لنبيهم ومحبتهم إياه، فرجع إلى قريش وحدثهم بما رأى وقال: إني والله ما رأيت ملكاً في قومه مثل محمدٍ في أصحابه فتكلم القوم فيما بينهم، وقالوا: نردُّه عامناً ويرجع إلى قافل.

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه عثمان بن عفان رضي الله عنه في جوار رجلٍ من بني أمية ليعلمهم بقصده، وخرج معه عشرة من المسلمين لزيارة أقاربهم بمكة، فقالت قريش: إن محمداً لا يدخلها علينا عنوةً أبداً، ثم منعوا سيدنا عثمان رضي الله عنه ومن معه من الرجوع، وشاع بين المسلمين أنه قد قُتل، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه للبيعة على القتال، فبايعوه على ذلك، وكان ذلك تحت شجرة سميت بعد بشجرة الرضوان، وسميت هذه البيعة أيضاً بيعة الرضوان، وبعث المشركون طلائعهم فأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلاً.